جورجيـــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٧ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفيه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع المهاجمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : تلميذ سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ط — (مخاطباً جورجياس) وقد قلت زيادة على ذلك أن الخطيب يولد من الاعتقاد فيما ينفع الجسد أكثر مما يولد الطبيب ! ؟

ج — نعم . قلت هذا ولو أن عمل الخطيب يختص بالجمهور !

ط — وتقصد بالجمهور الجهلة من غير شك لأنه واضح أن الخطيب لا يفضل الطبيب أمام جمع من المتعلمين ؟ !

ج — إنك تقول حقاً !

ط — وما دام الخطيب أجدر بالإقناع من الطبيب فهو أجدر به أيضاً من العارف ؟ !

ج — بلا شك !

ط — حتى ولو كان هو فى نفسه غير طبيب ، أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — ولكن واضح أن ذلك الذى هو ليس من الطبيب فى شئ يجهل الأشياء التى يحذق علمها الطبيب ؟ !

ج — نعم — هذا واضح —

ط — وهكذا يصبح الجاهل أقدر من العالم على إقناع الجهلة فى اللحظة التى يصبح فيها الخطيب أليق للإقناع من الطبيب ؟ أليس ذلك معقولاً ؟ أم ترى عندك شىء آخر ؟

ج — كلا ، فهذا هو الذى يحدث فى هذه اللحظة

ط — وهذه الخاصة التى يمتاز بها الخطيب وفنه : أليست واحدة بالنسبة للفنون الأخرى ؟ أعنى ليس ضرورياً أن يعنى رجل البيان بطبيعة الأشياء ، وحسبه أن يلتمس طريقة ما للاقناع بحيث يبدو فى عين الجهلة من الناس كما لو كان أكثر علماً من أولئك الذين يجيدون هذه الفنون ؟

ج — أليس جميلاً يا سقراط ألا نكون محتاجين إلى تعلم فن آخر غير ذلك الفن الذى لا ينبغى أن نتنازل عنه قط لأى محترف آخر ؟

ط — سنبحث حالا فيما إذا كان الخطيب يتنازل عنه من هذه الناحية للغير أو لا يتنازل حسبما يتطلب الموضوع . ولكن لننظر أولاً فيما إذا كان الخطيب يستطيع إزاء الحق والباطل ، والجمال والقبيح ، والخير والشر : أن يكون كما يكون بالنسبة لما يجلب الصحة ولموضوعات الفنون الأخرى ، بحيث يجهل ما هو الخير وما هو الشر ، وما هو الجمال ، وما هو القبيح ، وما هو الحق ، وما هو الباطل ، ولكنه يتخيل مع ذلك وسيلة للإقناع بهذه الموضوعات ، ويبدو فى عين الجهلة كما لو كان أكثر علماً من العلماء ، بينما هو نفسه جاهل خاوى الوفاض ! أو فلنزل بالأحرى إذا كان لازماً وضرورياً لمن يريد أن يدرس البيان أن يبحث عن كل هذا ويعمر فيه قبل أن يتلقى دروسك ؛ أم أنك — وأنت أستاذ البيان — سوف لا تعلم شيئاً من كل هذه الأشياء إذا

(١) رأينا في العدد الماضى كيف رحب سقراط بالنقد ، وكيف حمل جورجياس على أن يعود للمناقشة فى موضوع البيان على أساس النقد الحر . ثم رأينا كيف انتهت المحاورة هناك بادعاء جورجياس أنه يستطيع أن يجعل من تلاميذه خطباء قادرين على الكلام أمام الناس فى موضوع العدل والظلم ليقنعوهم بآرائهم الخاطئ منها والصائب . وسنرى اليوم كيف يلوك سقراط تلك الدعوى ثم يقذف بها في وجه صاحبها فاذا هى مجموعة من التناقضات ! !

« المعرب »

لم يك لديه معرفة بها لأن هذا ليس من شأنك ؛ وأنك فقط ستسلك معه — فى هذه الحال — سلوكاً يجعله يبدو كما لو كان عارفاً بها ، ويخلع عليه الخير دون أن يكون رجل خير بالفعل ! أم « لا هـذا ولا ذاك »[1] لأنك سوف لا تستطيع أن تعلمه البيان مطلقاً قبل أن يعرف الحقيقة المتصلة بهذه الموضوعات على الأقل ؟ فماذا ترى فى هذا يا جورجياس ؟ وهل ترى — وحق جوبتير — أننا نتقدم فى خواص البيان كما وعدت أنت منذ لحظة ؟

ج — أرى يا سقراط أنه عندما لا يكون لديه شيء عن كل هذه الموضوعات فإنه يستطيع أن يتعلمه منى !

ط — أرجو أن تقف هنا فإن إجابتك حسنة للغاية ! ألكيما تستطيع أن تجعل من أحد الناس خطيباً يجب أن يكون (هذا الراغب فى الخطابة) عارفاً بالظلم والعدل ، سواء أتت هذه المعرفة قبل مجيئه إلى مدرستك ، أم منك أنت ؟

ج — لا تناقض فى هذا !

ط — ولكن ماذا ؟ أيكون هذا الذى تعلم « النجارة » نجاراً أم لا يكون ؟

ج — يكون نجاراً

ط — وعندما يتعلم الإنسان الموسيقى ، ألا يكون موسيقياً ؟

ج — بلى

ط — وعندما يتعلم الطب ، ألا يكون طبيباً ؟ وبالاختصار فيما يتعلق بالفنون الأخرى — ألا يكون الإنسان كما ينبغى أن يكون تلميذ كل فن منها عندما يتعلم كل ما يتعلق بها ؟

ج — أوافق على هذا

ط — ويكون — لنفس السبب — كل من تعلم ما يختص بالعدالة عادلاً ! ؟

ج — دون تناقض

ط — ولكن هل يؤدى الرجل العادل فى مظهره أعمالاً عادلة ؟

ج — نعم

ط — وإذاً يجب أن يكون الخطيب عادلاً ، وأن يكون الرجل العادل راغباً فى أداء الأفعال العادلة ! ؟

ج — هذا ما يلوح — على الأقل — !

(١) لقد زدنا هذا التعبير من عندنا لانسجام المعنى « المعرب »

ط — ولا يرغب الرجل العادل أبداً فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — هذه نتيجة محتومة !

ط — ويجب بالأحرى أن يكون الخطيب بعد كل ما قيل رجلاً عادلاً ؟ !

ج — نعم

ط — وإذاً فإن يرغب الخطيب فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — يلوح أن لا[1]

ط — وهل تذكر أنك قلت منذ قليل إنه لا يجوز أن نقف فى وجه مدرب الألعاب وننفيه من المدينة لأن أحد المصارعين أساء استعمال اللاكة وارتكب بها عملاً ظالماً ، وإنه — لنفس السبب أيضاً — إذا أساء أحد الخطباء استعمال البيان يجب ألا نرجع الخطأ لأستاذه وننفيه من المملكة ، بل يجب أن نلقى المسئولية على الفاعل الذى لم يستعمل البيان كما ينبغى ؟ أقلت هذا أم لم تقله ؟ ؟

ج — قلته

ط — وهل ترى هذا الخطيب نفسه عاجزاً عن ارتكاب ظلامة ما أو سوف لا نراه ؟

ج — سنراه !

ط — وقد قررنا من المبدأ يا جورجياس أن موضوع البيان هو الكلام الذي يعالج العدل والظلم لا الزوج والفرد ، أليس هذا حقاً ؟

ج — بلى

ط — عندما تكلمت بهذا النحو ظننت أن البيان لا يستطيع أن يكون أبداً شيئاً ظالماً لأن كلامه يدور دائماً حول العدالة . ولكن عندما سمعت بعد قليل أن الخطيب يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً عجبت واعتقدت أن قوليك متناقضان . وهذا ما جعلنى أقول إنك إذا كنت ترى معى أن المعارضة خير فإننا نستطيع أن نواصل المناقشة ، وإلا فلنتركها حيث وقفنا ؛ فلما أن درسنا الموضوع فيما بعد رأيت بنفسك أننا قد اتفقنا على أن الخطيب لا يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً ولا أن

(١) ويلاحظ أن جورجياس كان قد قرر من قبل أن من الخطباء من يسيء استعمال البيان « المعرب »